



مصطفى جواد .. اعجاز لغة وفكر عمراني

المدى الثقافي

د. مصطفى جواد واحد من كبار علماء اللغة العربية والتاريخ الاسلامي اشتهر بين عامة العراقيين في حياته ببرنامجه الاذاعي (قل ولاتقل) وبين عشاق التلفزيون . عند ظهوره في

العراق . بدوته الاسبوعية التي كان يشاركه فيها السادة سالم الالوسي وفؤاد عباس رحمه الله ، ود. حسين امين وكانوا يجيبون فيها على رسائل المشاهدين في البلدانيات والاشكالات اللغوية واسماء الشخصيات. اشتهر مصطفى جواد ايضا بذاكرته العجيبة وتتبعه الدقيق للاصول اللغوية والعمرانية فهو استاذ لغة وعاشق للتاريخ واستاذ ميرزفieh.

ولد مصطفى ابن اسطه جواد الخياط عام ١٩٠٤ (على الأرجح) في محلة عقد القشل ببغداد واصله من مدينة (قره تبه) ولكنه عاد مع والده واسرتهما الى ديلتاوه حيث دخل المدرسة الابتدائية وبعد وفاة والده عمل في الفلاحة لكن

منهج مصطفى جواد في دراسة التاريخ

فيها ذكر، مطبوعة ومخطوطة مع ذكر الجزء والصفحة ومكان الطبع وتاريخه، ان كان مطبوعا، اما المخطوط فيذكر زيادة على الصفحة والجزء اسم المكتبة التي يوجد فيها، ورقم المخطوط.

النساء

وفي هذا المخطوط الذي اسماء (نساء الخلفاء) بدلا من (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) لقرب التسمية الاولى، صحيح نسبة مؤلفه، اذ نسبته لابن الساعي، وأوضح مصطفى جواد في خاتمة تصديره ان المؤلف لم يلتزم شرط كتابه بتضمينه اياه نساء الخلفاء، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء.

ولم يقف اهتمامه بالمرأة على ما افقه عن سيدات البلاط العباسي، والاموي أو ما حققه لابن الساعي عن نساء الخلفاء بل كتب بحثا علميا عن شهر عالة عراقية قديمة (فخر النساء شهدة).

وعلى الرغم من اهتمام مصطفى جواد وعنايته الفائقة ببغداد وتاريخها وتاريخ أزهى عصورها ، فإنه لم يبخس تاريخ المغرب العربي حقه من الدراسة والمتابعة فكتب بمناسبة عيد جامعة القرويين في فاس . المغرب بحثا مستوفى عن المقارنات والمقارقات بين معاهد العلم في المشرق العربي ومعاهده في المغرب ظل الى اليوم: مرجعا متينا لسائر الذين يهمهم ان يقضوا على السيرة التاريخية لبليدين شقيقتين ربطهما التاريخ عبر العصور لما فيه من فهرسة محكمة لتاريخ طويل حافل زاهر بمعاهد البصرة حيث تلقن ابن سيرين، ونشر علمه الحسن البصري ونشأ الجاحظ وابو زيد الانصاري والاصمعي وابو عبيدة والمازني وسيبويه وابو عمرو بن العلاء".

سمع مرة وهو يتحدث عن تاريخ اول سفارة مغربية الى بلاط بغداد، فاستطرد في حديثه بذكر حقائق مهمة عن تاريخ العلاقات القديمة بين العراق والمغرب وكأنه يعيش الاحداث التي كانت تجري بين بلاط الموحدين في المغرب وبلاط العباسيين في بغداد، لانه يعلم الشيء الكثير عن رغبة المنصور الموحي في ان ينفذ الغرض الذي كان اجله بعث يوسف بن تاشفين بالامام ابن العربي سفيرا عنه الى المستظهر العباسي، تلك السفارة التي كانت تهدف للتوحيد بين جناحي المشرق والمغرب، وتحدث عن (ساحر) والدة الخليفة المنصور في الرباط، كما تحدث عن (زمرد) والدة الخليفة الناصر العباسي تماما.

لقد وصف حديثه هذا بالطرافة والجدة العلمية لانه تناول فترة جد مهمة من تاريخ العلاقات بين خليفتين كلاهما يصير على ان يلتقب بأمبر المؤمنين ، فترة اعقبت سفارة السلطان صلاح الدين الايوبي للاستتجاد بالمغرب وعودة ابن منقذ راضيا بما يسر الله له من النصر والغلب في سواحل الشام.

لقد عاش مصطفى جواد تاريخ الامة العربية مشرقه ومغربه ، واسدى خدماته الجليلة لهذا التاريخ الذي حاول الاعداء طمس كثير من معالمه وتشويه حقائقه فنفض عنها غبار السنين، فدخل التاريخ من باب التاريخ ، واحتل مكانه بين رجاله الذين تميزوا بالصبر والجلد على متابغة الحقائق اذ اولى اهتمامه موضوعا بالغ التعقيد الا وهو تشابه الاسماء والالقب والتباس الانساب والكنى، مما وضعت فيه الاشياء والنظائر، والمختلف والمؤتلف والمنطق والمتسرق، فضلا عن الاحداث المنسية والامور المغفورة في بطون التواريخ والسير فجلا كثيرا من طلاسمها وصحح كثيرا من مواضعها وعقب على ما ضاع منها.

الضائف من معجم الادباء

كما استدرك وعقب على بعض كتب التاريخ التي تعنى بالرجال والاحداث منها بحته القيم عن (الضائع من معجم الادباء) لياقوت الحموي، فقد بين فيه وقوع نقصان في مواضع لم ينتبه لها ناشره مرجليوت، وفقدان القسم الثاني من الجزء الثالث، والشك في كون الجزء الرابع اصلا أو مختصرا فقط، وان السابع مختصر فقط، وشكه في ان يكون كل من الجزاين الرابع والسابع منتزعين من (معجم الشعراء) ان لم يكونا جزاين منه، ثم عقب بذكر تراجم تعتبر ضائعة من (معجم الادباء)عثر عليها من مطالعاته وتصفحاته".

ومن تتبع دراسات مصطفى جواد التاريخية، لنحظ ان لتاريخ الادب ورجاله موقعا متميزا في كل جهوده، فهو لم يكتف بما استدركه على ياقوت، ولابتراجم شعراء العراق في القرن السادس، بل اخ لفترة ادبية مهمة في تاريخنا الادبي الا وهي) الادب العراقي في العصر المغولي) معرفا به، ذاكرا العوامل التي استدامت حركة الادب العراقي العربي ثم خصائصه ، بروح علمية اصيلة، قال: " اني لم اقل هذه المقالة تعصبا للعراقيين ولا افتياتا على الاذواق الادبية ولا مجازفة في الحكم وانما قلتها بعد ان توفرت الشهادات وتوافرت لكرامة الادب العراقي العربي واستفاضت على الالسنه وفشت في الكتب وتناولت واثرت ، ولذكرها موضع اخر اشعبتها تبينا واستشهادا".

ان سبب ذلك يعود كما يرى الدكتور مصطفى جواد الى" ان تاريخ الادب العراقي كتاريخه السياسي غير مقرر ولا محرر، ولايلام على هذا التقصير الا العراقيون انفسهم لأن اخواننا في الثقافة العربية بمصر والشام لا ينشرون منه الا ما وقع اليهم وما عرض لهم في اثناء بحثهم وما سبقهم الى ذكره المستشرقون فعلموا . اعني العرب . اهماله واغفاله في كتبهم ترفيضا في حق العروية وتهاونا بالثقافة العربية فنحن نشكرهم على حال

وقد اصدر عدداً من الكتب المهمة في التاريخ والاداب والمجميات قبل ان يتوفى نتيجة اصابته بمرض القلب في السابع عشر من كانون الاول سنة ١٩٦٧ . وهو يعمل في عدة كتب وهو على فراش المرض.

ويأتي كتاب د. محمد عبد المطلب البكاء في (مصطفى جواد . حياته ومنزلته العلمية) لينير الطريق امام شباب اللغة والادب ويعرفهم بعالم عراقي مبرز اسهم لسنوات في خدمة الاجيال الجامعية ويسر للناس عبر الاذاعة والتلفزيون حب اللغة ومعرفة تواريخ المدن وعماراتها. عرفت استاذي مصطفى جواد رحمه الله عام ١٩٥٩ وظل يدرسنا التاريخ الاسلامي في كلية التربية

لما سبق منهم الينا من الايادي الادبية ولما اسلفوه من المعرفة لنا في البحث ولما أوجبوه من الحقوق قبلنا".

ان غيرة مصطفى جواد على تاريخ العراق وتراثه الادبي كانت خير دافع له لبذل المزيد من الجهد والمتابعة والمثابرة واغناء المكتبة العربية بما حقق من ثرات علمي وبما ألف ونشر من كتب وبحوث علمية امتازت بالرصانة والموضوعية والدقة العلمية المطلوبة وهو الذي يرى في الكتب: "عماد حياته وسر بقلته".

وبعد، اليس هذا هو سر بقاء مصطفى جواد حيا بيننا . ثرات علمي، وعالم مثابر . فبقدر ما ساجل الماضين وعاشوا احياء بحياته، يعيش حيا بيننا مؤرخاً ثبتا لا يرقى الشك اليه، نذر جهده لخدمة العراق العظيم والامة العربية لغة وتاريخاً.

تحقيق النصوص:

ومن الميادين الاخرى التي برزت فيها موهبته وسعة اطلاعه وغزارة علمه ميدان تحقيق النصوص، فهو بدلا من ان يؤلف كتابا، يحرر نصا من كتب التراث ثم يغميه بما يراه ضروريا في تبرئة النسخة المحققة من الخطأ النسخا وأوامهم ما كان يستدرك على المؤلف أو يضيف الى النسخة المحققة ما يكشف غموضها ويزيد من فائدتها العلمية فيحقق في اسماء الاعلام ويجنبها التصحيف أو التحريف، ويصدق في اسماء الاماكن متابعيا مواقفها وما طرأ عليها من احداث تاريخية، حتى لتغدو النسخة المحققة عملا علميا متكاملا ، بعد ان اضاف عليها من حواشيه وتعليقاته الشيء الكثير والتي ربما عادت من الكتاب المحقق ان لم تز.

ان مرد ذلك من دون شك يعود الى اطلاعه الواسع في التاريخ وبخاصة تاريخ العصور العباسية المتأخرة، والتي ألف وكتب فيها الشيء الكثير ، ومعرفته بالاعلام والرجال والخطط، وامهات كتب المراجع فكان ان تنامت وتكاملت لديه مكتبة التحقيق ، وغدا فيها المجلى الذي لايدافع ، والسابق الذي لايلحق، فكشف اوهاما وتناقضات واغاليط وتصحيفات في اللغة واسماء الرجال والمواضع وتواريخ الوفيات وغيرها، جازت على الكثير من المؤلفين والباحثين في الماضي والحاضر، يظهر في ذلك تعقيباته واستدراكاته، وفي نقدااته لكثير من الكتب والبحوث، وفيما حقق من كتب ولايكاد يخلو بحث من بحوثه عن شيء من هذا او مثله، ونقرؤه في تحقيقه لكتاب (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني. ولم تسلم كتب اللغويين هي الاخرى من التعقيب والاستدراك، فقد استدرك على ابن فارس والجوهري والمخشوري وابن جني والزبيدي، وقد اشرنا الى ذلك حين تناولنا جهده في نقد المعاجم اللغوية، وما نشر منها فيما بعد.

على ان جهد مصطفى جواد الذي لايمكن انكاره في هذا الجانب هو تصحيح نسبة بعض كتب التراث، أو الاهتداء الى تحقيق مؤلفيها الحقيقي وذلك مثل كتاب (شفاء القلوب في مناقب بني ايوب) اذ جاءت المخطوطة الوحيدة منه غفلا من اسم مؤلفها بسقوط الورقة الاولى منها، وعقب على من اقتبس من الكتاب من الاساتذة المحدثين، ونصصوا على الجهد بمؤلفه، كما استدرك عليهم اشياء وقعو في الغلط منها:واهتدى كذلك الى اسم مؤلف كتاب (تشریف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور) والمخطوطة الوحيدة غفل من اسم مؤلفها.

شرح ديوان المتنبي

كما صحح نسبة كتاب (شرح ديوان المتنبي) المنسوب للعكبري فبعد ان قدم الأدلة العلمية التي تنفي نسبة هذا الكتاب الى ابي البقاء العكبري اهتدى بجده واجتهاده الى مؤلفه الحقيقي وهو (ابن عدلان الموصلني) ثم درس اخباره

لستنين حيث درسنا الدولة الاموية سنة والعباسية سنة اخرى ، وكان بلذ لجميع الطلبة حديث الاستاذ الدكتور وعلمه الغزير ومعرفته الشاملة بالوقائع لكننا . شباب درس التاريخ انذاك . كنا نأخذ عليه قلة التحليل والحرص على ايراد الوقائع والروايات المتعددة لكن مصطفى جواد ظاهرة تربوية وعلمية لاتنكر لفرادتها وحافظتها وقدرتها على العمل الجاد والاستغراق فيه حتى الوصول الى المنجز وهو كبير من دون شك وحسبنا ان عالم مصطفى جواد العمراني واللغوي ماثل امامنا في كل حين كما ان ذكرى عالم كهذا ستظل دائما ذكرى ممتعة وعزيزة.



مصطفى جواد

ولم يقف جهد مصطفى جواد على كتب التراث العربي التي قام بتحقيقها او نشرها بل تعداها الى متابعة ما يحققه العلماء الافاضل معقيا ومستدركا، مصححا ومنبها لا يرجو غير الفائدة العلمية والحرص على تنقية كتب التراث مما لحقها من شوائب وايضاح ما طمس من الاحداث والرجال ، وهذا ما دفعه الى ترجمة شعراء العراق وادبائه في القرن السادس الهجري بعد ان اغفلت كتب التراجم ذكرهم او اشارت اليهم بشكل عابر وسريع. وذلك خدمة لنهوض العروبة من عثرتها وانتعاشها من كبوتها ، فلا عروبة . على الحقيقة. بلا شعر ولا نثر ولافنون الادب الاخرى، على حد تعبيره. ان جهد مصطفى جواد في تحقيق النصوص يصح ان يكون مدرسة قائمة بذاتها فهو لايكفي بنفض الغبار عن الكتاب المحقق ونشره، بل يعنى به عناية فائقة به كما مر بنا، ثم ليضيف اليه من سعة العلم والاطلاع ليكون مؤلفا، ثانيا لكتتاب المحقق وبدا نعلم فائدته ويستكمل قصوره.

واتبع الكتب التي ترجمها من الفرنسية ، ففي ترجمته (رحلة ابي طالب خان الى العراق واوريه سنة ١٢١٣هـ . ١٧٩٩ م) قدم الترجمة بسيرة لابي طالب خان ، ذكرها ابو طالب نفسه في اول كتاب رحلته، وفيها استنتج سنة ميلاده وعرف ببعض المدن التي ذكرها ابو طالب في الحاشية، منها: (لكنو) قال المترجم: وتعرف ايضا (بلكانو) وهي من مدن البلاد الهندية المشهورة، والاعلام الذين ورد ذكرهم في سيرة ابي طالب ، وشرح بعض افراده ، مثل (الاشتيام) قال: هو ريان السفينة، وقد وردت في شعر البحري وغيره،ثم اضاف الى ما ذكره ابو طالب عن نفسه، ما وجده في كتب التراجم الاخرى التي اشارت له، وما اسعفه به صديقه فؤاد عباس، ثم قدم الترجمة كاملة لما كتب ابو طالب بقلمه، بعد ان افتتح الكتاب بدراسته.

وحين ينتقل الى ترجمة الرحلة، لنحظ جهده في الاضافة والتعريف والشرح والتعليق، وترجمة الابيات الشعرية التي نشرها المترجم الفرنسي فأعاد مصطفى جواد نظمها الى العربية، قال: (المترجم الفرنسي نشر النظم الفارسي، ونظمتها أنا شعرا، وكذلك كل ما جاء من شعر الرحالة. وشرح المفردات اللغوية والتعليق عليها، قال الرحالة. (.ولها منبج) قال مصطفى جواد: والثعب ، هو مجرى الماء المستقدر في المدينة ويسميه المصريون (المجرى المجاري) وهو خطأ من حيث الاصطلاح، لأن القدامي من العرب سموه بالمثعب والمثاعب ولأن المجرى عام لكل ماء . وبذا نرى انه قدم لنا الرحلة مترجمة ترجمة علمية دقيقة، بعد ان اضاف اليها ما يحقق فائدتها ، ويوضح مغاللتها ، فجمعت تعاليقه ما بين اللغة والادب والتاريخ وفنون القول في اللغة التي ترجم عنها.



مصطفى جواد مع اعضاء المجمع العلمي العراقي



مصطفى جواد في محطة تلفاز بغداد مع الاديب والشاعر ميخائيل نعيمة